

عبارات وعابرو الأوطان:
من هنّ / م وماذا يريدنّ
ويريدون؟

تقرير عاجل عن المجتمعات
الفنية العربية الحديثة في
أوروبا

نادية شريف

«جس نبض» #٢

عبارات وعابرو الأوطان: من هنّ /م وماذا بردنَ ويريدون؟
تقرير عاجل عن المجتمعات الفنية العربية الحديثة في أوروبا

كتابة: نادية شريف

مقابلات الفنانات/ين أجرتها ألين خوري وعلي طالباب وكريم
قطان ونادية شريف وربا طوطح.

تحرير: مي أبو الذهب وكريم قطان

تنسيق: ريم الشلة

ترجمة من الإنجليزية: نورة بلال وزكرياء أعليلش

تدقيق لغوي: ياسمين حاج

تصميم جرافيكي: سوار قريطم

تكليف ونشر «مفردات»

هذا الكتيب جزء من مشروع «أصوات متميزة» وهو مدعوم
جزئياً من قبل وزارة الخارجية الألمانية، ومننّج بدعم من المجتمع
الفلمنكي وبالتعاون مع مؤسسة أليانز الثقافية.



مفردات

شارع «لاباتوار» ٤

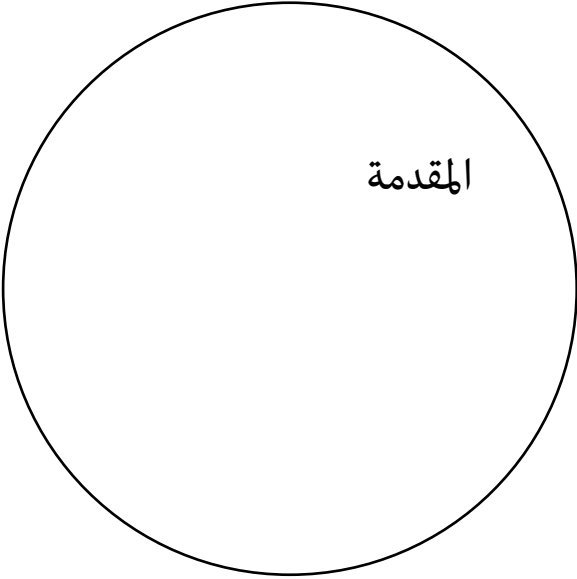
بروكسل، ١٠٠٠

بلجيكا

www.mophradat.org

© مفردات ٢٠٢١

«جس نبض» سلسلة من الكتيبات تصدرها «مفردات» عن
الأسئلة التي تؤثر علينا ككل وكمجتمع. «كل» هم أناس في
أي مكان يعتبرون العالم العربي وطنًا ومنزلاً، ويهتمون بحاضره،
ويطمحون إلى المشاركة في صياغة مستقبله من خلال مجموعة
متنوعة من الممارسات الفنية.



المقدمة

يهدف هذا البحث المكثف من «مفردات» إلى
عرض تحليل مقارن عن التحديات التي تواجه
فنانات/ي الشتات العربي الحديث في أوروبا، وتقديم
الاقتراحات للبرمجة والاستراتيجيات المحتملة
القادرة على الاستجابة المثلى لاحتياجات المجتمع.

في سياق تزايد حركة الفنانين العرب بشكل كبير بين المنطقة وأوروبا على مدى السنوات العشر الماضية، أدركت «مفردات» بصفقتها منظمة فنية تهدف إلى خلق فرص للفنانات/ين العرب الحاجة الملحة إلى تطوير فهم دقيق للتكوين الديموغرافي لمجتمعها الفني والظروف التي يواجهها. تسعى «مفردات»^١ في عملها بين بروكسل وأثينا إلى جمع المؤسسات الفنية والفنانات/ين والقيّمات/ين اللاتي/الذين يتشاركنّ/ون القيم التقدمية ويستمعنّ/ون إلى أصواتهنّ/م المميّزة ويجادلنّها/ونها. لذا بدأ هذا البحث ضرورياً لضمان برامج مستنيرة في تأسيسها.

تماشياً مع التزامها تجاه كل من الأجيال الجديدة من الفنانات/ين في المنطقة والمهاجرات/ين منهنّ/م على مدى العقد الماضي إلى أوروبا، رأت «مفردات» أنّ الوقت الآن هو الأمثل للاستجابة لضرورة إجراء بحث/تحليل نوعي للمواد والموارد المتاحة داخل المنظمة والمتعلقة بمجتمع المتقدمات/ين للمنح والحاصلات/ين عليها، وذلك من أجل التأكد من أن الأسئلة التي تطرحها المنظمة والفرص التي تخلقها تتوافق مع الظروف المعيشية ورغبات هذا المجتمع الكبير. في البداية هدف البحث إلى تحديد نهج والدفاع عنه، بناءً على فهم أفضل وأكثر شموليةً لما يحدث داخل المنطقة وخارجها.

حُطِّط لهذا البحث قبل مطلع الجائحة، لكنّه عُدّل وصُقل لاحقاً لضمان مراعاة التغييرات التي واجهتها/ها الفنانات/ون نتيجة هذا الوضع الاستثنائي. ومع ذلك، فإن الهدف من البحث نفسه لم يركز عن قصد على أي أزمة أو قضية معينة، وذلك ليتمكّن من تحديد خصائص واتجاهات أوسع.^٢

يُعنى بالبحث هذا أن يكون أداة تستخدمها المنظمات الأخرى التي تعمل مع نفس المجموعة المستهدفة - فنانات/ين من العالم العربي أو حاملات/ي هوية العالم العربي - لتوجّهها في التخطيط لمشاريع خدمية تتكيف مع احتياجات الفنانات/ين.

وفي نفس الوقت، تؤكد الكاتبة بشدة على ضرورة عدم التعامل مع هذا التقرير تحت أي ظرف بصفته دليلاً يميّن من استغلال هذه المجموعة المستهدفة. تهدف هذه الدراسة إلى إنتاج استراتيجيات مشروع مناسبة تتكيف مع احتياجات المجموعة وواقعها، وليس إلى ترميزها أو تحميلها هوية اختزالية.

توصّل البحث -الملخّص في الكتيّب هذا- إلى الاستنتاجات والتوصيات التالية:

ضرورة إعادة تعريف الفهم الجغرافي لموقع الفنانات/ين العرب

إدراك غلبة عبور الأوطان والدعوة إلى الوصول الشامل
والأوسع إلى المنح وأشكال الدعم الأخرى

توطيد وتحليل واستقراء البيانات والموارد المتاحة التي
جمّعت على مدار العقد الماضي من الدعم

التوصل إلى أشكال جديدة من الدعم المادي

المراجع

- ١ تنقذ «مفردات» برامج للفنانات/ين والمهنيات/ين الفنيات/ين وتقدّم مختلف أنواع مخططات الدعم لهن/م. بين عام ٢٠١٥ و٢٠٢٠، قدّمت «مفردات» ٢٥ مخطط دعم، واستلمت ٢٠٩٣٤ طلباً لتقديم للمنح، ودعمت ٤٨٢ فردة/فرداً موجودات/ين في ٨١ مدينة [كانت الأكثر تردداً منها القاهرة (١١٣) وبيروت (٨٧) وبروكسل (٢٤) وبرلين (١٩) وباريس (١٩) ورام الله (١٩) ولندن (١٤) ونيويورك (١٥) وعمان (١٣) ودمشق (١٠) والإسكندرية (١٠)].
 - ٢ عند إجراء المقابلات، كان معظم الفنانات/ين اللاتي/الذين قوبلن/وا غير متأثرات/ين
- بالوباء، مع العلم أنّهن/م كنّ/انوا قد ضمننّ/وا منحاً جارية وزمالات فنية والتزامات إنتاجية حتى نهاية العام ذاك. أما الفنانات/ين المقيّمات/ين في برلين وأمستردام وأوسلو فكُنّ/كانوا كذلك حاصلات/ين على «منح عمل» و«منح الطوارئ/كورونا» بدعم من حكوماتهن/م كلّاً تبعاً. لكن رغم أنّ المقابلات/ين عبّرن/وا عن ثبات مادّي في العام الأول من الجائحة (٢٠٢٠)، ثمّة عدم يقين كبير بخصوص عام الجائحة الثاني، فمن المتوقع أن تستمر الانتكاسات الاقتصادية وتقليصات الميزانية في الفضاء الثقافي.

المنهجية

تفحص طلبات التقديم سعى البحث الذي أجرته المستشارية المستقلة نادية شريف وبدعم من العديد من الباحثات/ين إلى إجراء تحليل متمعن للمتقدمات/ين وطلبات الالتحاق ببرامج «مفردات» من أجل تقييم احتياجات وظروف مجموعة الفنانات/ين والمعنيات/ين. نظر البحث في البيانات المتعلقة بالمتقدمات/ين والمستفيدات/ين من مخططات وبرامج دعم «مفردات» منذ عام ٢٠١٥ وفي محتوى الطلبات المقدمة إلى سبعة مخططات دعم نُشرت بين عامي ٢٠١٨ و٢٠٢٠.^٢

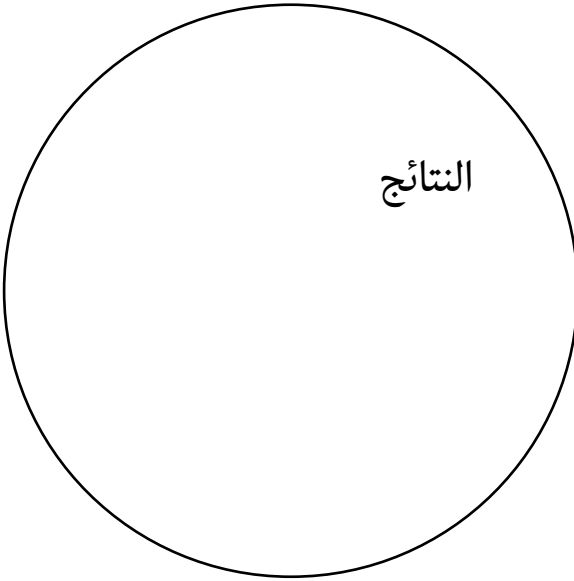
مقابلة الفنانات والفنانين يستند التقرير أيضًا إلى تحليل معلومات جمعت أثناء المقابلات الشخصية المتعمقة على النحو التالي: (١) مقابلات أجرتها نادية شريف بين آذار/مارس وأيار/مايو ٢٠٢١ مع أربع/ة عشرة/ر فنانة/ وممارسة/س فن تقدمن/وا إلى برامج «مفردات» أو حصلن/وا على منحة منها واللاتي/الذين تقل أعمارهن/م عن ٣٠ عامًا ويقمن/يمنون داخل العالم العربي وخارجه. (٢) مقابلات أُجريت بين حزيران/يونيو وتشرين الأول/أكتوبر ٢٠٢٠ من قبل أربع/ة باحثات/ين، ومصنفة وفق المجال، وشملت الفنون البصرية والموسيقى والأدب وفنون الأداء، مع ست/ة و ثلاثين فنانة/مقيمات/ين وناشطات/ين في أوروبا وينتمين/ون إلى ما أطلقت عليه «مفردات» «جيل ما بعد الربيع العربي» من الممارسات/ين اللاتي والذين تشكلت آفاقهن/م الثقافية، أقله جزئيًا، عبر أحداث عام (٢٠١١).

تقصي التزعات يقدم التقرير بيانات كمية وتقييمات لها، بالإضافة إلى وصف نوعي وتحليل لوجهات نظر المجتمع الفني الذي تعمل معه «مفردات». من بين ما يقدمه التقرير استقصاء شامل للميزات الاستراتيجية والأمهات النموذجية للمجتمعات المذكورة، موضِّحًا بأمثلة وبيانات ذات صلة، وسلسلة من المقترحات المبنية على هذه النتائج لاستراتيجية «مفردات» الشاملة.

المراجع

٣ مخططات الدعم السبع هي: «منح للفنانين ٢٠١٨» الجولة الأولى؛ «منح للفنانين ٢٠٢٠» الجولة الأولى؛ «منح للفنانين ٢٠٢٠» الجولة الثانية؛ ومخطط الدعم مصلحة مشتركة ٢٠٢٠..

٣ مخططات الدعم السبع هي: «منح للفنانين ٢٠١٨» الجولة الأولى؛ «منح للفنانين ٢٠١٨» الجولة الأولى؛ «منح للفنانين ٢٠١٩» الجولة الأولى؛ «منح للفنانين ٢٠١٩» الجولة الثانية؛ «منح للفنانين ٢٠١٩» الجولة الثانية؛



ما هي خصائص المجموعة المستهدفة؟

تركيب متنوع من المتقدمات/ين من بين طلبات التقديم، كانت نسبة الرجال ٥١٪ (متوافقي الجنس أو عابرين جنسيًا)، في حين كانت نسبة النساء ٤٢٪ (متوافقات الجنس أو عابرات جنسيًا)، فيما أفصحت نسبة ٧٪ من طلبات التقديم بوضوح أن صاحباتها/أصحابها «ينتمين/ون أو انتمين/وا إلى طيف أوسع من الهويات الجندرية»، أو فضّلن/وا عدم الإجابة.

وُلد الجزء الأكبر من المتقدمات/ين بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٥ – وبالتالي تتراوح أعمارهن/م بين ٢٦ و٣٠ - ويمثلن/ون ٢٨٪ من المتقدمات/ين. ت/يمثل المتقدمات/ون المولودات/ون بين عامي ١٩٨٦ و١٩٩٠ (أي تتراوح أعمارهن/م بين ٣١ و٣٥) نسبة ٢٦٪ من المتقدمات/ين فيما ت/يمثل المولودات/ون بين عامي ١٩٨١ و١٩٨٥ (أي تتراوح أعمارهن/م بين ٣٦ و٤٠) نسبة ٢١٪ من المتقدمات/ين.

٢٨٪ من المتقدمات/ين يبلغن/ون ٢٦ حتى ٣٠ عامًا

٤٢٪ من المتقدمات/ين كنّ نساء

يعشن/ون في ٥٤ دولة مختلفة

٦٢٪ اخترن/وا مسار هجرة مؤقتة أو دائمة

٣٠٪ يعيشن/ون خارج العالم العربي

حُدّدت أكثر من ٥٤ دولة مختلفة على أنها «الموقع الحالي»، لمقدمات/ي الطلب. كان أهم بلدين من حيث التقديم مصر (٣٠٪) ولبنان (١٢٪)، وتبعتهما أهميةً بالتساوي فلسطين والمغرب وفرنسا وألمانيا والولايات المتحدة (٥٪ من المتقدمات/ين من كل بلد). أقام ثلث المتقدمات/ين من العالم العربي خارج العالم العربي وقت تقديم الطلب. وكانت نسبة ٤٧٪ من المتقدمات/ين من العالم العربي الموجودات/ين خارج العالم العربي من النساء.

لا يمكن لهذه الأرقام أن تقودنا إلى استنتاج توجّه بعينه مبني على الجندر أو الديموغرافيا العمرية في البيانات الكمية المجمعة. ومع ذلك، فقد أظهر محتوى الطلبات الواردة بوضوح عموم خاصية واضحة واحدة ضمن المجتمع المدروس: التنقل أو عبور الأوطان.

مجتمع متنقل/عابر للأوطان حتى وإن أشارت/ر غالبية المتقدمات/ين إلى تواجدهنّ/م في بلدهنّ/م الأصلي وقت تقديم الطلب، فقد أظهر التحليل النوعي لـ ٥٨ من الطلبات الواردة من «داخل البلد» أن أكثر من ٦٢٪ من المتقدمات/ين يتمتّعن/ون بتجربة الهجرة خارج العالم العربي أو أنّ حياتهنّ/م تحوي عاملاً عابراً للأوطان، ما يجعل معيار التنقل/عبور الأوطان أكثر غلبةً مما كان واضحاً في البداية.

أكدت المقابلات أيضاً هذه الغلبة وأظهرت أن المتقدمات/ين يواجهنّ/ون أنواعاً مختلفة من الهجرة: الهجرة المتقطعة، والهجرة طويلة الأجل، والهجرة الطوعية، والهجرة القسرية، أو التنقل المنتظم عبر الحدود. كما أن الهجرة لا تحدث فقط من العالم العربي إلى أوروبا ولكن أيضاً من أوروبا إلى العالم العربي، وداخل العالم العربي نفسه، وذهاباً وإياباً بين العالم العربي وأوروبا.

لا تتمّ الهجرة من العالم العربي إلى أوروبا فحسب إنّما كذلك من أوروبا إلى العالم العربي، وفي داخل العالم العربي نفسه، وذهاباً وإياباً بين العالم العربي وأوروبا.

يمكننا الاستشهاد بحالات الفنانات/ين اللاتي/الذين درسن/وا في الخارج، والفنانات/ين اللاتي/الذين يعيشنّ/ون داخل حدود بلدان متعددة وخارجها، أو المهاجرات/ين من الجيل الثاني اللاتي/الذين ولدن/وا نشأنّ/وا في أوروبا وحصلنّ/وا على تعليم عالٍ وعادوا إلى بلد عائلتهنّ/م الأصلي ولكنهنّ/م مازالنّ/وا على علاقة مع البلد الذي ولدنّ/وا فيه.

توضح هذه الأمثلة تنوع طبائع التنقل عبر الحدود وتكرّر الخاصية هذه ضمن المجموعة المستهدفة. لا تتمّ الهجرة من العالم العربي إلى أوروبا فحسب إنما كذلك من أوروبا إلى العالم العربي، وفي داخل العالم العربي نفسه، وذهابًا وإيابًا بين العالم العربي وأوروبا.

درجات متفاوتة من التحرك أظهرت المقابلات أن الفنانات/ين والعاملات/ين في الفن يعتمدنّ/ون درجات متفاوتة من التنقل، والمقصود بها سهولة الحركة بين بلد وآخر.

غالبًا ما تؤثر درجة القدرة على التنقل على احتياجات المتقدمات/ين. يشير كل من محتوى الطلبات والمقابلات إلى وجود صلة بين مستوى القدرة على التنقل ونوع الدعم المطلوب: المتقدمات/ون اللاتي/الذين يمكن إدراجهنّ/م في الجزء السفلي من خارطة التنقل (فنانات/ون من العالم العربي مقيمات/ون في العالم العربي بلا أبعاد عابرة للأوطان أو الفنانات/ون العرب المقيمات/ون خارج العالم العربي لفترة طويلة وقلّما يعدنّ/يعودون إلى العالم العربي) غالبًا ما يطلبنّ/ون دعمًا ماديًا لتطوير أعمالهنّ/م محليًا، في حين أن من ينتمين/ون إلى مواقع أعلى في خارطة التنقل، غالبًا ما يتقدمنّ/ون بطلبات مرتبطة بتكاليف التنقل، مثل طلب دعم السفر لفعاليات عابرة للأوطان مثل دعوة فنانة/ن مقيمة/م في بلد آخر، أو تنظيم رحلة بحثية.

كان منطقيًا إذًا أن تشير المقابلات أيضًا إلى الرابط بين درجة القدرة على التنقل وأنواع المشكلات التي تواجها الفنانات/ون. عند خوض تجربة الهجرة، ت/يتعرض الفنانات/ون ممن لديهنّ/م درجة أقل من التنقل إلى مشكلات إدارية، مثل الحصول على تأشيرة أو إيجاد مكان للعيش أو تجديد التأشيرة وتصاريح الإقامة.

عند خوض تجربة الهجرة، ت/يتعرض الفنانات/ون ممن لديهنّ/م درجة أقل من التنقل إلى مشكلات إدارية، مثل الحصول على تأشيرة أو إيجاد مكان للعيش أو تجديد التأشيرة وتصاريح الإقامة.

في ذات الوقت، كشفت المقابلات أن جميع الفنانات/ين حديثات/ي
العهد في قطاع فني محلي معين - الفنانات/ين المهاجرات/ين في بلد جديد
أو الفنانات/ين الناشئات/ين في بلدانهن/م الحالية - يجدن/ون صعوبة في
الفهم والتفاعل والربط مع قطاع الفن في محيطهن/م المحلي.

كيف تتصل بالمشهد المحلي؟

ترسيخ نقاط البداية تشاركت/ك كل الفنانات/ين اللاتي/الذين قوبلن/وا سواء قدمن/وا إلى بلد جديد أو كنّ/كانوا نشأن/وا في البلد الذي كبرن/وا فيه - سواء كنّ/كانوا في بداية حياتهن/م المهنية أو أكثر استقرارًا - حقيقة صعوبة فهم ميدان الفن والتنقل فيه في بداية خوضه. ذُكرت نقطتا دخول رئيسيتان واختارتهما/هما الفنانات/ون مرارًا وتكرارًا للتعامل مع هذه الصعوبة: البرامج الأكاديمية أو التعليمية والمرشديات/ين والفرص المتعلقة بالإرشاد.

تلعب المؤسسات الأكاديمية والبرامج التعليمية دورًا في غاية الأهمية

15 توفر الجامعات دعمًا ماديًا وإداريًا ومهنيًا هامًا، وقد أشيد بدورها في تسهيل الدخول في سياق جديد، سواء تعلق الأمر بالعالم الفني في البلد الأصلي أو المشهد الثقافي في بلد جديد. بالمقارنة، فإن اللاتي/الذين هاجرن/وا بالتتابع سبل أخرى، اضطررن/وا إلى مواجهة تحديات إضافية جمة. ومع ذلك، فقد ذُكرت/ر أيضًا بعض الفنانات/ين صعوبات اجتياز البوابة الأكاديمية أو التعليمية: الرسوم الدراسية أعلى لغير الأوروبيين ولا يتوفر الدعم الحكومي دائمًا طوال مدة الدراسة؛ ويكون توفير نفقات المعيشة اليومية هو الجزء الأصعب. تحدّ هذه العوائق من عدد الفدرات/الأفراد القدرات/ين على الاستفادة من تلك الفرص.

أكدت/د الفنانات/ون الأكثر استقرارًا أن المؤسسات التعليمية والإقامات الفنية تلعب دورًا هامًا في فتح أبواب جديدة للتواصل مع بلد جديد والقيّمات/ين على الفن والمساحات الفنية والمنظمات لمشاركات مستقبلية وتعزيز علاقتهن/م مع مكان معين.

ثمة حاجة إلى مرشحات ومرشدين وبرامج توجيهية

استشهدت/د الفنانات/ون اللاتي/الذين قوبلن/وا دون سنّ الثلاثين، وبأغلبية ساحقة، بالخبرات المتعلقة بالتوجيه والإرشاد بصفتها نقطة دخول ضرورية إلى قطاع الفن ومطلوبة للغاية.

عندما لم يتمكّن/وا من التسجيل في برامج الإرشاد، أوكلت/ال الفنانات/ون اللاتي/الذين قوبلن/وا هذا الدور إلى مدرّسات/ين جامعيّات/ين أو مديرات/ي برامج أو مشرفات/ين سابقات/ين على العمل أو التدريب، أو إلى فنانات/ين أكثر خبرة التقيّن/وا بهن/م أثناء ورشة عمل.

أعرب مزيدٌ من الفنانات/ين المستقرات/ين عن رغبتهن/م في توجيه الشباب، وتشاركن/وا في الاعتقاد بأن الإرشاد عنصر حاسم في شبكة علاقات الفنانة/ن.

من نقطة الانطلاق وإلى السياق المحلي: عملية مركّبة للغاية

تفيد كل من البرامج التعليمية وبرامج الإرشاد في فهم أفضل لبيئة جديدة، يطرأ تحدّد جديد عندما ينتهي برنامج الإرشاد وت/يضطرّ الفنانة/ن إلى استيعاب المشهد من حولها/ه بذاتها/ه. ذكرت نقطة الانتقال كل من الفنانات/ين المهاجرات/ين وغير المهاجرات/ين. وتبعاً للمقابلات، يستطيع عاملان تيسير تلك المرحلة الانتقالية، هما دائرة من الأصدقاء وشبكات علاقات مؤسساتية محلية.

تلعب الصداقات الشخصية دورًا هامًا في بناء العلاقات والروابط

تلعب الصداقات الشخصية دورًا هامًا في بناء العلاقات والروابط داخل هذا السياق. وقد أشير مرارًا وتكرارًا إلى أهمية المساحات الودية وغير الرسمية والمفيدة اجتماعيًا بصفتها وسيلة لتحسين التواصل وبالتالي الاندماج في قطاع الفن المحلي. تتيح هذه الدائرة تقديم التوصيات والنصائح والأنشطة والإجراءات التي يجب القيام بها، كما تُعدّ دوائر الأصدقاء طريقة فعالة لمقابلة أفراد آخرين متشابهات/ي الفكر وتوسيع دائرة المعارف والعلاقات بالأقران.

للمؤسسات المحلية النشطة والمرئية وقع كبير

إذا كانت نقطة الانطلاق تساعد على فهم المؤسسات الموجودة، فلا ت/يزال الفنانات/ون بحاجة إلى وقت للتواصل مع مؤسسات أو مساحات معينة وفهمها. تعمل الشبكة المؤسسية المحلية الكثيفة والمتنوعة والفعالة على تسريع إنشاء الروابط المحلية ضمن السياق المحلي بشكل ملحوظ. تترك المؤسسات النشطة والمرئية، التي تنظّم الأحداث وتوفر مساحات مفتوحة وتتيح ظروفًا تمكّن الفنانات/ين من الالتقاء والتواصل مع الآخرين، أثرًا كبيرًا على الطريقة التي ت/يتكيف بها الفنانات/ون مع سياق معين.

استشهد برلين مثالًا جيدًا على ذلك، فقد أدى التجمع الكبير للمؤسسات والمنظمات والمجموعات التي تعمل من العالم العربي أو حوله إلى خلق بيئة تسهّل على الفنانات/ين الوافدات/ين إلى المدينة خلق علاقة معها بسرعة وفي المجال أو المجتمع المعني.

ما هي الهموم الخاصّة بالفنانات/ين المقيّمات/ين في أوروبا؟

يشير عبور الأوطان أو التنقل أو النزوح القسري عددًا من القضايا المحددة التي تؤثر على الفنانات/ين المهاجرين/ات.

دافع قوي لبناء مجتمعي أكدت/د فنانات/ون من مجالات فنية مختلفة أهمية المساحة المجتمعية والتعاون، وقد تحدّث كثيرٌ من الكاتبات والكتاب المقيّمات/ين في أوروبا عن الاحتياج إلى التواصل ولقاء كاتبات وكتّاب متشابهات/ي الفكر وبناء الشبكات وعن غياب الفعاليات والمساحات لتحقيق تلك الاحتياجات. عبّر العديد ممن قوبلن/وا في قطاع الموسيقى عن احتياجهن/م إلى شبكة رسمية أو هيكل دعم، ومع ذلك، هناك تشكك بشأن ما يجب أن يكون الرابط الملزم لأعضاء الشبكة. شدد أحد الكتاب على أن الحاجة إلى المجتمع لا ينبغي أن تقوم على الهوية وأن هناك حاجة ملحة للتوسع، لإيجاد أفكار ومشاريع جديدة تتجاوز مسألة الهوية. ذكرت/ر الموسيقيات/ون ضرورة الحفاظ على شعورهن/م بالانتماء إلى سياق أكبر يلعب دورًا مهمًا في مشاركة الفرص والخبرات، إلى أن يصبح منصة لمناقشة وإيجاد حلول للتحديات المشتركة ولكن دون الإشارة إلى ما يمكن أن يؤدي إلى ذلك الشعور بالانتماء.

رابط جغرافي للعمل الفني تؤثر التجارب عابرة الأوطان مباشرةً في كيفية ربط الفنانات/ين أعمالهنّ/م بسياقٍ جغرافي.

رغم أن معظم الفنانات/ين العرب القائمات/ين في أوروبا وقت المقابلات لم يعبرن/وا عن عملهن/م على أساس أنه يتناول العالم العربي مباشرةً، ذكرت/ر كثيرات/ون أن عملهن/م يتناول العالم العربي بطريقة غير مباشرة، لأنه نتاج تاريخهم/ن أو معرفتهم/ن لبلد عربي واحد أو لمنطقة، وبالمثل، فإن عملهم/ن لا يتعلق مباشرة بأوروبا أيضًا. كان من المشترك

عمومًا أن يجعل تعدد المعارف والمراجع ممارساته/م غير مرتبطة بمنطقة معينة كما أنّ لهن/م مواقف أو تصريحات سياسية لا ترتبط ارتباطاً مباشراً بدولة معينة. ذكر بعض الأشخاص الذين قوبلن/وا أنّهن/م يفضلن/ون رؤية ممارساتهن/م على أنها معنية بالمواضيع بدلاً من المناطق الجغرافية.

مسألة الجمهور

كان سؤال الجمهور مسألة مرتبطة بالفنانات/ين اللاتي/الذين قوبلن/وا ممن تزيد أعمارهن/م عن ٣٠ عامًا، حيث لم يعبر الفنانات/ون الأصغر سنًا أو الناشئون/ات عن فكرة واضحة عن جمهورهن/م المرغوب، فقلقهنّ/م من الوصول إلى القيمات/ين على المعارض أو المنتجات/ين أو الناشرات/ين أكبر من قلقهن/م من الوصول إلى جمهور محدد.

أعربت/ب الفنانات/ون اللاتي/الذين قوبلن/وا من أوروبا عن إحباطهن/م من عدم فهم الجمهور الأوروبي لعملهن/م، وفي ذات الوقت فهن/م محبطات/ون من صعوبات الوصول إلى جمهور في العالم العربي بسبب الوضع السياسي المتقلب في المنطقة والرقابة ومحدودية أماكن العرض. في قطاع الموسيقى، وعلى الرغم من الارتباط بمشاهدين/م المحلية الجديدة أعرب بعض من قوبلن/وا عن شعور بالخربة في ما يتعلق بأدائهن/م في أوروبا لجمهور لا «يتصلن/ون به تمامًا».

سيكون تجميع كتلة كبيرة في مكان واحد في أوروبا حلاً يخفف من وطأة ما صُنّف بأنه اختلال مزعج: أي إنتاج الفن في مكان ما لجمهور موجود في مكان آخر. غالبًا مات/يستشهد فنانات/ون من مجال الموسيقى والأدب والفنون البصرية ببرلين بصفتها بيئة تجمع كثيرًا من الفنانات/ين العرب.

التعريف والتمثيل

قضية أخرى متكررة برزت من المقابلات مع فنانات/ين عرب مقيمات/ين في أوروبا تتعلق بتعريف أعمالهن/م أو تسويقها. أكّد العديد من الفنانات/ين أنه حتى لو كانت أعمالهن/م أو خلفيتهن/م مرتبطة بالعالم العربي، فلا يمكن اختزال أعمالهن/م إلى هوية قومية. سلطت فنانة أداء سورية الضوء على أنها دائمًا ما تُصنّف فنانة عربية في جميع الشبكات التي تعمل فيها. والسيطرة على تسويق المشاريع

الثقافية هي قضية تحتاج إلى المعرفة والمهارات اللازمة لمعالجتها. وفي هذا الصدد، ذكرت فنانة لبنانية بصراحة أنها لا تريد أن تُؤطّر أو تُصنّف كفنانة عربية. أشار فنان تشكيلي أردني إلى «مهرجانات عامة تحتزل الفنانه/ن من العالم العربي إلى «العربية/ي» أو «السورية/ي»، أو غيرها من التعميمات التي ترى في عملهن/م ما هو غرائبي. ذكر فنان تشكيلي سوري آخر أنه قُدّم في المعارض الأوروبية والدولية على أنه «لاجئ سوري»، وهو ما وجدته وصمة عار. كما تحدثت/ث اثنتان/ان من الفنانات/ين المرئيّات/ين والأدائيات/ين عن الترميز الذي ت/يطبعه مبرمجات/ي الغرب على أعمالهن/م أو خلفيتهن/م. وذكر كاتب سوري أن «الغرب يعتبرهن/م نشطاء وليس كاتبات/كاتبًا»، لأن أشهر كتبهن/م في أوروبا ليست الكتب الأدبية بل تلك التي تتناول موضوع الحرب.

ما بعد المحليات، كيف نقرأ الروابط عابرة الأوطان؟

يُعرّف بناء الشبكات على أنه إجراء أو عملية تفاعل مع الآخرين، لتبادل المعلومات وتوسيع الدوائر المهنية أو الاجتماعية. يعد التشبيك أحد أكثر التحديات التي أعربت/ب عنها الفنانات/ون الذين قوبلن/وا.

الشبكات الرسمية وغير الرسمية كان مفاجئاً أنه باستثناء الشبكات الأكاديمية أو مجموعات الأصدقاء غير الرسمية، لم ت/يستشهد الفنانات/ون الذين قوبلن/وا بأي شبكات - على الرغم من الجهود المبذولة على مدى العقد الماضي من قبل المنظمات الدولية لتشجيع وإنشاء الشبكات داخل مجتمعات الفنانات/ين وعبرها، ولكن يبدو أن الفنانات/ين لا يعتمدن/ون على مثل هذه الروابط لدعم ممارساتهن/م بالطريقة التي هدفت هذه الجهود إلى تحقيقها.

كان واضحاً من المقابلات أن الحقائق الاجتماعية والإدارية والقانونية تحيل دون تطور الشبكات من فكرة مثالية إلى مجموعة عمل تنظيمية أو منظومة من الأفراد أو المنظمات أو الكيانات الأخرى المترابطة. يساهم الوقت اللازم لبناء الشبكات والعقبات المتعلقة بالتأشيرات في تقييد معظم الأفراد في الوطن العربي من السفر، كما تساهم هذه العقبات إلى حد كبير في جعل احتمالية عقد اجتماعات وتبادلات دولية أكبر غير ممكنة في سياقنا الحالية.

أهمية الفعاليات والبرامج العابرة للأوطان ذكرت الفعاليات أو البرامج العابرة للأوطان مثل «بينالي الشارقة للفنون» أو «آرت دبي» أو لقاءات «مفردات» «متواطئون» على أنها مساحات تتيح للفنانات/ين العرب أن يتجمعن/وا معاً لتبادل الخبرات والمعرفة والمشاركة في نقاشات نقدية.

عدا المؤسسات الكبرى ذات الامتداد الإقليمي، فإن العديد من الساحات في العالم العربي تكافح من أجل البقاء مفتوحة أو حتى لم تعد موجودة، كما أشير إلى انكماش المشاهد الفنية في مصر أو سوريا أو فلسطين في ظل الأزمات السياسية والصحية والاقتصادية الأخيرة. ما أدى إلى فجوة هائلة في فرص التشبيك والتواصل، خاصة بين الفنانين/ين في الخارج والمجتمعات الفنية في بلدانهم/م الأصلية.

بعيداً عن «الوطن»: الحفاظ على العلاقات مع العالم العربي

عندما سئلن/وا عن طريقة متابعتهم/م لما يحدث في وطنهم/م، كانت الإجابة الأعم من فنانات/ين مهاجرات/ين أنهن/م لا يتابعن/ون الأحداث إلا عبر الأصدقاء والصدقات أو الزملاء والزميلات السابقين/ات.

صرحت فنانة أدائية سورية أن شبكتها في العالم العربي أخذت في الانكماش لعدم ارتباطها بالمشهد السوري في سوريا. وقال فنان تشكيلي فلسطيني إن شبكته في فلسطين تعود إلى ما قبل خمس سنوات ولم تعد محدثة.

وللتعاشيش مع تلك المعضلة، أشير إلى أن السفر المنتظم هو وسيلة للحفاظ على الروابط مع العالم العربي بعد المغادرة، ما يجدد التأكيد على أهمية التنقل وضرورة تغطية نفقاته.

إمكانات الأدوات الرقمية والإلكترونية عند مناقشة دور أدوات الشبكات الرقمية والإنترنت، كان هناك إجماع عام على إمكاناتها ولكن أيضاً على سوء استخدامها الحالي.

شارك العديد من الفنانين/ين خيبة أملهم/م من كيفية استخدام الأدوات الرقمية حتى الآن، خاصةً منذ أزمة كوفيد-١٩، والتي تعتمد أساساً على تحويل المساحات المادية إلى افتراضية دون تعديل أو تعامل نقدي مع هذه الأدوات.

حتى وإن كانت/ الفنانات/ ون اللاتي/ الذين قوبلن/ وا يستخدمن/ ون أدوات عبر الإنترنت للوصول إلى المعلومات أو لأغراض التواصل، فقد أشير إلى بعض المقترحات المقدمة نحو استخدام أكثر ذكاءً للأدوات الرقمية أو عبر الإنترنت، بما في ذلك تخصيص وقت لتنسيق أنواع جديدة من المساحات عبر الإنترنت.

الدعم المالي والاجتماعي ذكر التمويل بشكل منهجي على أنه التحدي الأكبر بين الفنانات/ين اللاتي/ الذين قوبلن/ وا لما يسمح به: مصدر محتمل للدخل المنتظم وسبيل للتواصل مع الأقران ووسيلة لدفع أجور المتعاونات/ين بما في ذلك الفنانات/ين أو الخبيرات/الخبراء الأخريات/ الآخرين وبصفته موردًا للسفر أو استئجار استوديو أو مساحة عمل. خلال المقابلات، طُرحت ثلاثة مصادر تمويلية للنقاش: أتعاب الفنانات/ين ودخلهن/م؛ وأنظمة الضمان الاجتماعي والحماية الاجتماعية؛ والمنح.

أتعاب ودخل الفنانات/ين غير كافٍ

٩٠٪ من الفنانات/ين اللاتي قوبلن/ وا غير قادرات/ين على كسب دخل كافٍ من الفن والممارسات الفنية، ٦٠٪ يعملن/ون لحسابهن/م الخاص في مجال مرتبط بشكل عام بالصناعات الإبداعية مثل التسويق والإعلان والترجمة وإنشاء المحتوى أو تحرير الفيديو، و٤٠٪ يُوظفن/ون، بشكل عام في منظمات غير حكومية، أو في مؤسسات فنية أو ثقافية.

من الواضح أن عدم القدرة على توليد الدخل من الممارسات الفنية مرتبط بعدم التوافق بين الأنظمة الاقتصادية السائدة الحالية وطبيعة النشاط الفني نفسه: يصعب إنتاج بعض الأعمال أو من المستحيل بيعها في السوق بسبب نسقها أو محتواها.

علاوة على ذلك، فإن أي نشاط فني يعني وقتًا لا يمكن تقديره نقدياً مثل الوقت المخصص للبحث أو التفكير والذي بدوره يزيد من عدم الاستقرار العام للفردات/الأفراد العاملات والعاملين في هذا القطاع.

أنظمة ضمان اجتماعي وحماية اجتماعية غير موجودة

على العموم، أثبتت إجابات اللقاءات أنّ الأشكال الحالية للضمان الاجتماعي وخطط الحماية الاجتماعية للفنون مفتقرة بشدة.

غيّرت بعض الدول الأوروبية أرضيات الحماية الاجتماعية الخاصة بها استجابةً لأزمة كوفيد-١٩ عبر اعتماد تدابير الطوارئ والإغاثة. وبالمثل، كيّفت المؤسسات غير الربحية والخيرية إجراءات عملها بسرعة وحوّلت بعض مواردها لتلبية احتياجات الفنانات/ين والمهنيات/ين الثقافيات/ين الأكثر ضعفاً.

لكن باستثناء الفنانات/ين المقيّمات/ين في برلين وأمستردام وأوسلو اللاتي/الذين حصلوا على «منح العمل» و«منح الطوارئ/كورونا» التي تدعمها الحكومة، أفاد عدد قليل جداً من الفنانات/ين أنهن/م تمكّن/وا من الوصول إلى إحدى أنظمة الطوارئ التابعة للدولة أو غير التابعة لها.

تكثر المشاكل التي ترافق تقديم المنح

٢٤

أثارت النقاشات عن المنح قضايا مختلفة نادراً ما تعلّقت بندرة الأموال إنّما وفي كثير من الأحيان بنهج التمويل والبيئة، وذكّرت/ر الفنانات/ون القضايا التالية:

تصعّب تعقيدات سياق التمويل تحديد قنوات التمويل؛

ما زالت النزاهة السياسية التي تعتمد عليها الجهات الممولة غير واضحة، وذلك لافتقارها إلى الشفافية على العموم في ما يتعلق بأسلوب الانتقاء الذي تنتهجه بعض المؤسسات؛

تختلف طبيعة النفقات المغطاة، ما يصعّب على الفنانات/ين الحصول على تمويل لنفقات المعيشة اليومية أو الأنشطة المتعلقة بالبحث. التركيز المفرط على النتائج والإطار الزمني المحدد ونوع النفقات المؤهلة عوامل مسيئة للكتاب والكاتبات خاصةً، لأنّ الأدب حرفة بطيئة وأقلّ جلاءً، على الرغم من كونه نقطة ارتكاز عدّة عمليات إبداعية؛

تتباين معايير الأهلية المطلوبة، فتصعب على الفرد الحصول على التمويل مقارنةً بالمؤسسات، ومعايير الأهلية مصممة للمواطنات/ين وليس للفنانات/ين العابرات/ين للأوطان أو المهاجرات/ين؛

تخلق محدودية منهجية ونهج التمويل، الذي يعتمد على تقديم الطلبات لتوزيع أموال التمويل، جواً تنافسياً، وهو سوق غالباً مات/يشعر الفنانات/ون الناشئات/ون بأنهن/م مستبعدات/ين منه؛

ويعاد خلق الفجوة التعليمية، فتقديم الطلبات مشروط بالكتابة - أكملت نسبة ١٠٠ بالمائة، من ال٥١ فنانة/ناً اللاتي/الذين قوبلن/وا وتقدمن/وا بطلبات منح إلى «مفردات» درجة تعليمية عالية المستوى.

استنتاجات

تشير استنتاجات البحث إلى حقيقة تمويل قطاع الفنون في العام العربي. على مدى العقد الماضي، مَوَّل القطاع في الغالب عبر المساعدات الدولية وأطر التمويل التنموية (المنظمات غير الربحية والجهات الدولية العامة والخاصة) في غياب التمويل المحلي العام أو الخاص. يعوق هذا الواقع المبحف الجهات الفاعلة والأنشطة والمبادرات والمنظمات التي تشكل مجال الفن من الاندماج في قطاع مناسب يجد شرعيته خارج السرد الخارجي أو السرد (التنموي) الدخيل. يعد هذا النمط التمويلي أو الداعم أحد الأسباب الرئيسية لاستمرار تقييم الإنتاج الفني بناءً على تأثيره الاجتماعي والاقتصادي، وقد ساهم في إقامة صلة مباشرة بين الفنون ومستوى التنمية في الدول العربية، ما رسخ أكثر ارتكاز أهمية الفن على نتاجه - وذلك استثمار غير كاف ومنطق موجه نحو النتائج. ومع ذلك، فقد أرسى أساس آليات دعم ديناميكية تكيف مع احتياجات الفنانين/ين الفعلية من العالم العربي أو متعاطفات/ي الهوية مع العالم العربي، وتسعى إلى تطوير القطاع ذاته.

ما يلي مجموعة من الأدوات والتوصيات المستمدة من البحث.

ضرورة إعادة تحديد المفاهيم والخطوط الجغرافية أوضح

البحث وجود فنانات/ين عرب داخل العالم العربي وخارجه، وكذلك المتنقلات/ين ذهاباً وإياباً، فينتج عنه تدفق مستمر للحركة عبر الحدود التي يجب أن تفرض إعادة تعريف للتركيز الجغرافي للمؤسسات التي تدعم الفنانات/ين من المنطقة.

يجب على التنقل الذي غالباً ما يكون متقطعاً وحسب والانتشار الواسع للممارسات الفنية العابرة للأوطان بين الفنانات/ين الموجودات/ين داخل العالم العربي أو خارجه أن يقود المؤسسات أو المنظمات إلى تكييف الطريقة التي تستهدف بها هذه المجموعة أو تحدها.

الفنانات والفنانون العرب اليوم عبارة عن مجتمع عابر

للأوطان تستخدم البرامج التي تركز على الفنانات/ين المقيمات/ين في العالم العربي أو في ما يسمى بالجالية العربية وحسب مفاهيم قديمة^٤ لا تتوافق مع الاحتياجات أو الحقائق الفعلية. تعد السياقات المدوّلة وسرعة وسائل التنقل المتزايدة (قبل الجائحة)، بالإضافة إلى التقنيات الجديدة والاتصالات السريعة، أسباباً لتغيير طريقة فهم الشخصات/الأشخاص المهاجرات/ين وتعريفهن/م وتقييدهن/م. تسمح إعادة تعريف الجالية العربية في هذا الإطار العابر للأوطان باتباع نهج يأخذ بعين الاعتبار تعدد العلاقات والحركات والشبكات التي تتجاوز فكرة موحدة لعملية الهجرة. تدعم هذه الخصائص استخدام مفهوم «عبر الوطنية» بصورة محدودة، وذلك للإشارة إلى الروابط الدائمة للمهاجرات/ين عبر البلدان، وعلى نطاق أوسع لا للتعبير عن المجتمعات فحسب إنما عن جميع أنواع التشكيلات الاجتماعية مثل الشبكات والجماعات النشطة العابرة للأوطان أو المنصات أو المنظمات التي تتماشى مع خصائص المجموعة المدروسة.

دعم بناء السرديات عبر الوطنية يَكُن وضع «مفردات» الجيد من

زيادة حشد هذا المجتمع حول مفهوم «عبر الوطنية» وتطوير السرديات العابرة للأوطان. المنظمة نفسها مسجلة في بروكسل، وتركز على العالم العربي، ولها فضاء مادي في أثينا، ما يجعلها منظمة عابرة الأوطان.

تستطيع مساحات معينة، مثل فضاء «مفردات» الجديد في أثينا، خلق شعور مشترك بالترابط والانتماء، ولا تكون متّصلة بالفنانات/ين المشتتات/ين فحسب إنما أيضاً المتنقلات/ين وعابرات/ي الأوطان اللاتي/الذين يكوّنون/ون مجتمع الفن العربي. فضاء «مفردات» في أثينا عبارة عن مساحة يمكن أن تتقارب فيها المناطق النائية والتجارب المتباينة.

يُمكن للفضاء تسهيل بناء أطر تجريبية مشتركة، فيلعب دورًا حاسمًا في عمليات تفاعل المجموعات وتحديد هويتها، وكذلك في إضفاء الشرعية أو نزعها عن ديناميكيات السلطة والتسلسلات الهرمية الاجتماعية أو الجغرافية، عبر الكشف عن أشكال متجددة من العلاقات بين الأقران

والعلاقات المهنية واقتراحها.

ثمة عدم توافق بين ممارسات التمويل السائدة واحتياجات قطاع الفن الفعلية

الاستفادة من بيانات وخبرات يمكن الاعتماد عليها بعد سنوات من الممارسة وتقديم الدعم، على المنظمات الملتزمة بمجال الفن الاعتماد بصورة أكبر على مجتمعها الواسع من الفنانين/ين وبياناتها الداخلية ومواردها لتوليد المعرفة ومشاركتها مع مجموعة أكبر من الفاعلين/ات، وتصميم خطط الدعم غير المالي على أساس ربط الأشخاص والمنظمات.

على خطط الدعم هذه أن تركز على ديناميكيات المجتمع ككل، حيث تلعب المنظمات الداعمة جزءًا تكامليًا فيه. عليها كذلك استهداف تأسيس حوارات منتظمة بين الأفراد والمنظمات في مختلف الأماكن وعبر تجارب يمكن التماهي معها.

٢٩

يمكن أن يؤدي المزيد من الدراسة والتعلم من البيانات المتاحة واستكشاف طرق جديدة لاستخدام الفضاءات المادية أو الرقمية الجماعية والاستثمار فيها إلى مضاعفة أنواع جديدة من الدعم.

تشجيع مناهج المنح وخطط الدعم الجديدة من الواضح أن نهج المنح السائد، والذي يشمل الاستجابة إلى نداء معين بفكرة محددة لمشروع محدود الوقت وبنتيجة محددة مسبقًا، لا يناسب قطاع الفنون وطبيعة الممارسات الفنية.

يجب تشجيع مخططات الدعم التي تتجنب النهج الموجه نحو النتائج أو المشاريع. يمكننا الاستشهاد على سبيل المثال بخطة منح «التفرغ للكتابة»، ضمن برامج «مفردات»، والتي تتيح للفنانين/ين التركيز على عملهم/م في المنزل وتوفر راتبًا شهريًا يتناسب مع البلد الذي تقيم فيه الفنانة/ن.

يُنظر في سلسلة من التدابير، البسيطة منها والأكثر طموحًا، في ما يتعلق بعمل «مفردات» وموقعها في هذا المجال، وتُفصّل في نسخة داخلية أطول

من هذا التقرير. تسمح هذه التدابير بتحوّل في نموذج تقديم المنح «المؤقتة والمرتكزة على النتائج»، نحو التركيز على الاستراتيجيات التي تبدّي إمكانية التنبؤ بالدخل، وظروف العمل اللائق، وتعزيز التضامن بين مختلف الجهات الفاعلة في القطاع. وتشمل هذه التدابير الدعوات المفتوحة على مدار العام، وخطوط تنظيم أقوى، والدعم المباشر للفنانات/ين، والمخططات التي تهتمّ بسيرورة العمل الفني أو التفرغ له، والمرافق التي تسمح لهياكل الدعم بدفع التكاليف الأساسية أو الأجور بصفتها تكاليف مباشرة، وليس فقط بصورة عرضية أو بصفتها جزءاً من منحة مشروع معيّن وما إلى ذلك.

في نهاية المطاف، لكي يكون عملنا تطلعيًا وفعالًا، فإن المطلوب هو برامج دعم مبتكرة تولّد شبكات أمان تشتد الحاجة إليها، وتساعد في تهيئة الظروف للفنانات/ين حتى يتمكّننّ/وا من ممارسة عملهن/م بصورة مستدامة، أفرادًا ومجموعات.

المراجع

٤ انظري/ر

Communication and Culture 1(1),
p.52-65. doi: <https://doi.org/10.16997/wpsc.203>. Accessed
.21 March 2021

See Tsagarousianou, R., (2017) "Rethinking the concept of diaspora: mobility, connectivity and communication in a globalised world", *Westminster Papers in*

عن الكاتبة

تكرس نادية شريف جهودها لمساعدة الجهات الممولة ومنظمات المجتمع المدني وأصحاب وصاحبات المشاريع الاجتماعية على تعزيز مهاراتهم/م ومواردهن/م وتشجيع التنمية المسيّرة محليًا. نادية محامية مؤهلة في فرنسا ومتخصصة في قانون الاتحاد الأوروبي، عملت في المفوضية الأوروبية بشأن سياسة المساعدة الخارجية للاتحاد الأوروبي في تونس وبروكسل. منذ عام ٢٠١١، تتعاون نادية مع عدّة منظمات حقوقية وثقافية في أفريقيا والشرق الأوسط وآسيا، بما في ذلك «مفردات». تشارك بانتظام تحليلاتها وآراءها عن بيئة التمويل في المنطقة في مختلف المؤتمرات والمنشورات، وقد صممت خطط تمويل مبنية خصيصًا لمساعدة الجهات الممولة على ابتكار طرق الدعم الموجه لمجتمعاتها.

«جس نبض» سلسلة من الكتيبات تصدرها «مفردات» عن
الأسئلة التي تؤثر علينا ككل وكمجتمع. «كل» هم أناس في أي
مكان يعتبرون العالم العربي وطنًا ومنزلًا، ويهتمون بحضرة،
ويطمحون إلى المشاركة في صياغة مستقبله من خلال مجموعة
متنوعة من الممارسات الفنية.

